محاضرة

في محاضرته التي ألقاها افتراضياً مؤخّراً، يتتبّع الآثاري والمؤرّخ الفلسطيني عشرات النصوص العربية خلال القرون السّتة الأولى للميلاد، والتي تكشف جملة من المفاهيم والمعتقدات واللغة الأدبية المشتركة بين قبائل جزيرة العرب امتدّت إلى ما بعد الإسلام

محمد مرقطن القرآن وجذوره اللغوية القديمة

كيف نقرأ نقوش الجزيرة العربية

محمود منير

توقّف الآثاري والمؤرّخ الفلسطيني، محمد مرقطن، في محاضرته «لغة القرآن الكريم في ضوء الاكتشافات الأثرية في الجزيرة العربية»، التي ألقاها الإثنين الماضي عبر منصة «زووم»، عند جملة ملاحظات أساسية حول ما ترفده النقوش من معرفة بالقرآن، ولغة النبي محمد وتكوينها التاريخي الذي نعرفه من خلال الوحي، ومقاربة مصادر التراث العربي بروح نقدية، مؤكّداً أن مدوّنات العرب قبل الإسلام هي المصدر الأساسي لدراسة التكوين التاريخي للغة القرآن وتاريخ العرب.

وأشار في المحاضرة، التي تندرج ضمن سلسلة ويبنار «الإسلام: التاريخ والمجتمع» بتنظيم من «جامعة مونستر» في ألمانيا، إلى ضرورة التعامل مع الجزيرة العربية كوحدة ثقافية ولغوية واحدة كما عرّفها العالم المسلم الحسن الهمداني (893 - 947 م) بأنها تمتدّ من بحر العرب إلى جبال طوروس، مع اشتمالها على وحدات ثقافية متنوّعة مثل الشام والعراق واليمن. ابتدأ الباحث المتخصّص في لغات وحضارات الشرق القديم حديثه بتقنيّ اكتُشف حديثاً، ونشره آثاريون يمنيون، وهو مكتوب بخطّ الزبور المستخدَم في الكتابات العربية الجنوبية ويعود إلى القرن السادس الميلادي، وفيه البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ السموات»، ويُحتمَل أن يكون قبل الإسلام أو في بداياته.

ثم استعرض المدارس الغربية، مفرّقاً بين المدرسة الكلاسيكية التقليدية في دراسة القرآن، والتي ترى أنّ لهجة قريش تمّ رفعها للفصحى، ومن أبرز ممثّليها المستعربة الألمانية أنجليكا نويفرت، التي ركّزت في دراساتها على أنّ القرآن نصّ من العصور القديمة المتأخّرة، وتعدّ هذه المسألة جديدة، قياساً برموز هذه المدرسة الذين لا يعتقدون بأهمية المكتشفات الأثرية في الجزيرة العربية، وبين المدرسة التحريفية التي نشأت منذ السبعينيات، وهي ليست علمية، وتزعم أنّ لغة القرآن مزيج من السريانية - العربية ومن أبرزهم الباحث اللبناني باسمه المستعار «كريستوف لكسنبرغ» والذي لم يستطع أن يبرهن على وجود جملة واحدة سريانية في القرآن.

وأكّد المحاضر أنّ لغة القرآن لا يمكن أن تكون لهجة قريش، لأنّ الإخباريّين العرب كتبوا بجميع لهجات القبائل، واقتصارها على لهجة هو تعبير عن تعصّب في التراث الإسلامي، وأنّ الدراسات العربية الحديثة هي اجترار للتراث من دون رؤية نقدية. كما تطرّق إلى مسألة المعرب ولهجات العرب وغريب القرآن التي تتعامل معها مصادر التراث بانفتاح، حيث تشير إلى الألفاظ الأعجمية في القرآن.

وانتقل بعدها إلى نقوش الجزيرة قبل الإسلام بدءاً من الخريطة اللغوية التي تميّز بين العربية الشمالية والعربية الجنوبية وهو أضخم معبد في الجزيرة العربية، وكان مكاناً لحجّ القبائل في وسط الجزيرة وجنوبها، ووثّق بنفسه نحو خمسمئة نقش من نقوشه التي تُغيّر العديد من المسلمات حول تاريخ الجزيرة.

في قراءة لهذه النقوش، يلفت المتحدّث إلى عدد من أسماء الله الحسنى؛ كالسميع والحليم والمنعم والعزيز والشكور والقيوم وغيرها من أسماء الآلهة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، وأسماء أعلام مثل محمد ومحمود وأحمد ومحمدة وأحمدت، وكذلك بعض المصطلحات والمفاهيم التي ترد في النقوش ثم القرآن، ومنها الحلال والحرام والصلاة والطهارة والملائكة وربّ أحد وأصحاب الفيل وذو القرنين، أو ما يماثل معنى حبل في آية «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» في نصوص سبئية في القرن التاسع قبل الميلاد.

ويعيد الآيتين الكريمتين: «وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون» في سورة النجم إلى السمودة وهي قصيدة ملحمية مشتقّة من الجذر «سمد» إذ كان يتمّ الترنّم بها وغناؤها في لغة حمير، ما عُرف بـ«سجع الكهّان» في القرآن وهي قصائد رباعية موزونة كانت تمجّد الآلهة، وفي أحد النقوش المعينية يجيب الإله عفتر بتحريم قتل الأطفال (الوأد) والذي صدر في مرسوم يفيد بعقاب عسير لمن يرتكب هذه الجريمة.

ويوثّق نقش نجراني قصة أصحاب الفيل اكتشفته مؤخّراً البعثة الفرنسية في السعودية، ويُظهر صورة فيلين والملك أبرهة في حملته لغزو مكّة وهدم الكعبة، بحسب مرقطن الذي يقرأ نقوشاً سبئية تتقاطع مع مصادر سريانية حول حادثة أصحاب الأخدود الذين أحرقوا على يد الملك الحميري اليهودي يوسف أسأر بسبب اعتناقهم المسيحية، ويذكر أيضاً نقوشاً صفائية مكتشفة حديثاً غير منشورة حتى الآن تذكر النبي عيسى.

ويرى أنه بناءً على المادّة المتوفّرة من النقوش، كانت هناك في القرن السادس الميلادي لغة عربية متكاملة بمعجميتها القانونية وبالمصطلحات الدينية والأدبية، ويمكن تتبع تطوّر الخط العربي وبلا انقطاع في كافة مراحله منذ بداية القرن الأول وحتى القرن السابع الميلادي، في مناطق ما بين نجران وحوران.

في تقديمه للنظريات حول أصول الخطّ العربي، يشير إلى ما ورد في التراث من نظرية أسطورية غيبية ترتبط بادم وإسماعيل، ونظرية الخط السرياني، ونظرية الخط المسند الذي استخدم في مملكة حمير، ونظرية المستشرقين وأتباعهم من العرب حول عدم وجود خط عربي وكتابات عربية زمن ظهور الإسلام، ونظرية الخط النبطي وما تقدمه الاكتشافات الحديثة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

محمد مرقطن

أصل ثقافي ولغوي واحد

يخلص محمد مرقطن الى أنّ العربية الفصحى انبثقت من مجموعة لهجات وسط وشمال الجزيرة، وابتداءً من القرن الاول الميلادي، يمكن الحديث عن العربية الفصحى المبكرة بحسب عشرات النقوش التي عُثر عليها في المنطقة الممتدّة من اليمن الى سورية، ومنذ القرن الرابع بدأت تحوّلات ملحوظة باتجاه تطوير لغة ادبية مشتركة بادماج لهجات القبائل المختلفة شكّلت البنيوع الاول للفصحى التي ظهرت في لغة القرآن والشعر الجاهلي.

يعارض اعتبار الفصحى لهجة قريش او ذات اصل سرياني

استخدم العرب القدامى مصطلحات دينية وردت في القرآن لاحقاً

ومعمارية ورسائل وعقود ونصوص أدبية، خلافاً لنصوص الشمال التي تناولت الحياة الخاصة.

ونبّه إلى أنّ أهل الجزيرة استوحوا خطاً كنعانياً خلال العصر البرونزي المتأخر، والذي اكتُشفت نماذج منه بالقرب من مدينة القدس، واستخدم العرب الجنوبيون أيضاً خط المسند وبرعوا في الكتابة به من الناحية الجمالية، بينما كتب العرب الشماليون بالخط الآرامي، مثلما تبرزه النقوش النبطية التي تطوّرت لاحقاً إلى العربية.

وتناول مرقطن نقوشاً صفائية اكتُشفت في منطقة الحرّة بالأردن، وكتبتها قبائل تعيش بين البداوة والتحضر، وكذلك نقوشاً ثمودية، ومنها نقش عربي قديم مكتوب بأحدى تفرّعاتها وهي الحسماوية، واكتُشف في مدينة مادبا الأردنية، والنقوش الدادانية -اللحيانية في منطقة العلا بالسعودية. وفي شرق الجزيرة، عُثر على نقوش بالخط المسند الإحسائي وبالآرامية، إلى جانب نقوش بخط المسند العُماني في ظفار، وهي متروكة للجيل الجديد من أجل أن يفكّ رموزها بشكل متكامل.

حول معبد أوام بالقرب من مدينة مأرب باليمن، حيث شارك مرقطن في عشرة مواسم من التنقيب، بيّن أنه محاط بسور قطره ثلاثمئة متر بارتفاع ستّة عشر متراً، وهو أضخم معبد في الجزيرة العربية، وكان مكاناً لحجّ القبائل في وسط الجزيرة وجنوبها، ووثّق بنفسه نحو خمسمئة نقش من نقوشه التي تُغيّر العديد من المسلمات حول تاريخ الجزيرة.

في قراءة لهذه النقوش، يلفت المتحدّث إلى عدد من أسماء الله الحسنى؛ كالسميع والحليم والمنعم والعزيز والشكور والقيوم وغيرها من أسماء الآلهة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، وأسماء أعلام مثل محمد ومحمود وأحمد ومحمدة وأحمدت، وكذلك بعض المصطلحات والمفاهيم التي ترد في النقوش ثم القرآن، ومنها الحلال والحرام والصلاة والطهارة والملائكة وربّ أحد وأصحاب الفيل وذو القرنين، أو ما يماثل معنى حبل في آية «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» في نصوص سبئية في القرن التاسع قبل الميلاد.

ويعيد الآيتين الكريمتين: «وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون» في سورة النجم إلى السمودة وهي قصيدة ملحمية مشتقّة من الجذر «سمد» إذ كان يتمّ الترنّم بها وغناؤها في لغة حمير، ما عُرف بـ«سجع الكهّان» في القرآن وهي قصائد رباعية موزونة كانت تمجّد الآلهة، وفي أحد النقوش المعينية يجيب الإله عفتر بتحريم قتل الأطفال (الوأد) والذي صدر في مرسوم يفيد بعقاب عسير لمن يرتكب هذه الجريمة.

ويوثّق نقش نجراني قصة أصحاب الفيل اكتشفته مؤخّراً البعثة الفرنسية في السعودية، ويُظهر صورة فيلين والملك أبرهة في حملته لغزو مكّة وهدم الكعبة، بحسب مرقطن الذي يقرأ نقوشاً سبئية تتقاطع مع مصادر سريانية حول حادثة أصحاب الأخدود الذين أحرقوا على يد الملك الحميري اليهودي يوسف أسأر بسبب اعتناقهم المسيحية، ويذكر أيضاً نقوشاً صفائية مكتشفة حديثاً غير منشورة حتى الآن تذكر النبي عيسى.

ويرى أنه بناءً على المادّة المتوفّرة من النقوش، كانت هناك في القرن السادس الميلادي لغة عربية متكاملة بمعجميتها القانونية وبالمصطلحات الدينية والأدبية، ويمكن تتبع تطوّر الخط العربي وبلا انقطاع في كافة مراحله منذ بداية القرن الأول وحتى القرن السابع الميلادي، في مناطق ما بين نجران وحوران.

في تقديمه للنظريات حول أصول الخطّ العربي، يشير إلى ما ورد في التراث من نظرية أسطورية غيبية ترتبط بادم وإسماعيل، ونظرية الخط السرياني، ونظرية الخط المسند الذي استخدم في مملكة حمير، ونظرية المستشرقين وأتباعهم من العرب حول عدم وجود خط عربي وكتابات عربية زمن ظهور الإسلام، ونظرية الخط النبطي وما تقدمه الاكتشافات الحديثة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قراءة

عقل العويط نصوص ترتدّ إلى العنوان نفسه

شعر ما بعد الانفجار

في مجموعة «الرابع من آب 2020»، لا تنفصل السياسة عن الإنشاد، والتعليق الصحافي عن المرثية، حيث يتواقت الغضب واللعنة والصراخ مع الغناء والحكمة

عباس بيضون

العنوان لافت: «الرابع من آب 2020». لم يُسجّل الشاعر اللبناني عقل العويط (1952) هذا التاريخ في عنوان الديوان، ولم يعُد إليه عفواً في الصفحة الأولى من الديوان الذي يمتدّ على 71 صفحة تحوي مقطّعات منفصلة لكنها مع ذلك لا تحمل عناوين، كأنها جميعها ترتدّ إلى العنوان نفسه. نعرف أنّ التاريخ الذي حمله العنوان هو تاريخ انفجار مرفأ بيروت الذي دوّى في ذات الوقت. أن لا تحمل مقطّعات الديوان عناوين إلماح إلى أنها جميعها تندمج في نصّ واحد، وإننا لذلك أمام مطوّلة شعرية أو قصيدة واحدة هي صدىً ونشيد لانفجار المرفأ. أي أننا ثانية أمام فنّ ما بعد المرفأ، شعر ما بعد المرفأ.

«الثلاثاء الرابع من آب الساعة السادسة وسبع دقائق».

هكذا تبدأ قصيدة العويط الأولى وستتكرّر التاريخ مرّات في النصّ.

«كيف أصفُكِ
يا بيروت
قبل الساعة السادسة وسبع دقائق
كيف أصفُكِ
بعد الساعة السادسة وسبع دقائق».

وإذا كانت مطوّلة العويط، ولنسمّها بتصرّفٍ ملحمته، تبدأ من هذا التاريخ، فإنّها تقف عنده بشتى المقاربات وشتى الأساليب. إنّها ذلك الدفق الذي استثاره الانفجار، دفق ينهمر أحياناً بصفو أحياناً أخرى وبستخرجي في ما يشبه الفكرة والحكمة، أو يلتفّ على الموضوع بإشارات وكنايات سياسية، هي أيضاً أزدراء وغيظ وسخرية مُرّة. في كلّ ذلك يترامى من البعيد والقريب نشيد توراتي وعنف نبوي، يستدعي من بعيد حرْقبال وارميا وأشعيا.

«لتشربي غبار الهواء أحقاد الركام غفيرة وصراخ استغاثتك الملجوم يصل إلى مسامع الكل ولا يصل إلى مسامع أحد. إياك أن تستسلمي. ستعتّر نظراتك الأخيرة على طريقة لإرجاء الزفرة المميتة واجتراح ضحكة المستحيل».

يمكننا أن ننفذ من الغضب إلى عدمية وإلى ميتافيزيق أسود «ليدجّن هذا العدم» كما يمكننا أن نعثر على محطّات تقترب من مباشرة سياسة على حافة المحكي.

«النسيم الجريح... لا يقول إلّا صباح الخير، ثم يكمل طريقه مسلّماً بالطريقة ذاتها على العابرين والحالمين والموتى المفقودين، والجيران المكسور خاطرهم للأسباب المعروفة».

نصل أحياناً إلى ما يشبه التحريض السياسي وما يفيض بدعاوى صارخة. «ستدفنينهم واحداً واحداً، بالطريقة التي ترينها مناسبة، لن أقول رمياً بالرصاص ولا تعليقاً على أعواد المشانق، ولا جلوساً فوق كراسي الكهرباء، ولا طمراً في الغياهب، سيترك التدبير لكِ كلّه لأنّه كلّه لكِ، يا سيدة حرّة».

نحن أمام ما يشبه أن يكون مراثي عقل العويط، إذا تذكّرنا مراثي أرميا مراثي لا تقف فقط عند لغة صارخة غاضبة محرّضة، لكنّها تنفذ إلى التماعات تندغم فيها الصور بالأفكار وبالغناء.

«من يكسر من،
الأصل أم الظل،
الشاعر أم القصيدة».

هكذا نجد أنفسنا أمام نص لا يتنكب عن شيء، المراثي والغضب التوراتي، النشيد مع الدعاوى والتحري مع السرد والتعليق الصحافي، مع الغناء الخافت. إننا أمام شعر ما بعد الانفجار حيث لا تنفصل السياسة عن الإنشاد، حيث لا ينفصل التعليق الصحافي عن المرثية، حيث يتواقت الغضب واللعنة والصراخ مع الغناء والحكمة في أحيان. شعر ما بعد الانفجار، كما يقتضيه الانفجار نفسه، يغلي العنف لكنّه أيضاً يجد الطريق إلى الحكمة. هكذا نصل إلى شعر يذكّرنا من بعيد بـ«البيت» الأميركيّين، نصل إلى شعر يشبه فنّ الكولاج، يلصق التعليق على الغناء والعادي على الغرائبي. ليس ديوان عقل العويط المثل الوحيد لهذا الشعر، لا بدّ أنّ هناك أمثلة أخرى، لا بدّ أنّ هناك أكثر من قصيدة بأكثر من طريقة.

(شاعر وروائي من لبنان)

مطوّلة شعرية أو قصيدة واحدة هي صدىً لانفجار المرفأ

عقل العويط

متابعة

تونس في الحجر الصحّي وخارج الافتراضي

شهر للصيام عن الثقافة

خلافاً للسنوات الماضية، يمرّ رمضان هذا العام في صمت ثقافي تام في تونس، حيث يبدو وكأن أهل الفنون والآداب تركوا كل رغبة في تقديم شيء للجمهور

تونس ـ **ليلى بن صالح**

عادةً ما يكون شهر رمضان أحد أنشط مواسم الثقافة في تونس؛ حيث إن الكثير من التظاهرات ارتبط تنظيمها بحلوله؛ أبرزها «مهرجان المدينة» الذي يُقام في عدّة مدن تونسية من العاصمة إلى صفاقس، ناهيك عن العروض المسرحية والموسيقية التي تُروَّج فيها بشكل خاص العروض ذات النزعة الصوفية والفولكلورية، مثل «الزيارة» و«الحضرة» وعرض المالوف. لكن رمضان هذا العام يبدو مختلفاً تماماً، فقد تزامن مع الموجة الثالثة من فيروس كورونا، ما اضطرّ الحكومة إلى اتخاذ إجراءات وقائية كان أبرزها منع التجوال بعد الغروب، وإغلاق الفضاءات العام، ما عدا تلك التي توفّر الحاجيات الأساسية. وطبعاً ليست قاعات العروض والغاليريهات والمكتبات والمتاحف منها. وهو ما يعني توقّفاً تاماً للحياة الثقافية في شهر رمضان لعل تونس لم تعرف مثيله من قبل. لم تظهر هذه المرة موجة من الاحتجاج لدى شرائح من المثقّفين، وهو ما يعني إيجاد المؤسسة الرسمية لعدد من حلول الدعم لقطاعات مثل المسرح والكتاب والفنون التشكيلية، كما أن انتشار العدوى السريع كان أحد الأسباب التي أجّلت كل احتجاج، في محاولة لتوفير مناخ اجتماعي ملائم لجهود وقف انتشار الوباء والتخفيف من خسائره.

في السنتين الأخيرتين، راجت دعاية من الدوائر الرسمية أن افتتاح «مدينة الثقافة» يمثّل تنشيطاً لمجمل القطاعات الإبداعية، لكن لم تمضِ سوى أشهر حتى بدأت موجات الفيروس تتوالى، وتتابع معها إغلاقات «مدينة الثقافة» بمؤسساتها الكثيرة مثل «قطب المسرح» و«متحف الفن المعاصر»، و«بيت الرواية»، و«معهد تونس للترجمة»، وغيرها. مرّ أكثر من عام منذ بدء الجائحة العالمية ولم نجد أي محاولة في «استثمار» ضخامة المشروع. كان يمكن أن تكون «مدينة الثقافة» باتساع مساحتها حلاً بديلاً لكثير من العروض التي لا يمكن أن تُقام في القاعات العادية. قلة الحيلة الإدارية جعلت من مدينة الثقافة مجرّد جدران ضخمة، وفي رمضان هذا العام باتت أشبه بمدينة أشباح. كان يمكن أن تكون الخيارات الافتراضية التي تتيحها التكنولوجيا فرصة لبقاء بعض الحياة في المشهد الثقافي التونسي، غير أن القائمين على مختلف حقول الفن والأدب والفكر لا يبدون متحمّسين لهذا الخيار، لنجد مهرجاناً وحيداً (إلى حد الآن) يقام افتراضياً؛ «فنون عبر الواب» الذي تنظّمه «المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بن عروس» (بالقرب من تونس العاصمة) ما بين 23 و29 من نيسان/ إبريل الجاري، وعدد من محاضرات تظاهرة «شهر التراث» التي تتواصل حتى 18 أيار/ مايو المقبل.

يُذكر أن الموجة الأولى من الوباء، منذ عام تقريباً، أنتجت حركية ثقافية على وسائط التواصل الاجتماعي، وكانت قائمة على مبادرات فردية من الفنانين، لكنها سرعان ما خفتت ولم نعد نجد لها أثراً في «ترقيع» ما بلي من الحياة الثقافية الواقعية.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تبدو «مدينة الثقافة» في شهر رمضان الحالي أشبه بمدينة أشباح

مجسّم للمعمار الترابي من أمام «مدينة الثقافة» في تونس العاصمة

فعاليات

حتى الثالث من الشهر المقبل، يتواصل في «قصر الثقافة» بالجزائر العاصمة **المعرض الوطني لفنّ الخط العربي والزخرفة والمنمنمات**، الذي يُنظّمه «النادي الجزائري للخط العربي والزخرفة»، بمشاركة قرابة خمسين فنّاناً جزائريا يحضرون بأكثر من قرابة مائة عملٍ فنّي تتنوّع بين الحروفيات والزخارف والمنمنمات.

تنطلق، اليوم الاحد، أشغال **موتمر الدراسات الفنية السنوي الثالث 2020-2021**، الذي يُنظّمه «معهد الدوحة للدراسات العليا» بالتعاون مع «متحف: المتحف العربي للفن الحديث». يناقش الموتمر، الذي يُقام افتراضيا بمشاركة عدد من الفنّانين والباحثين وموظّفي المتاحف وقيّمي المعارض من بلدان مختلفة حول العالم، موضوع **مستقبل المتاحف في مدينة المستقبل**.

تحت عنوان **العودة**، يتواصل، حتى الثلاثين من الشهر الجاري، في رواق «دار سيباستيان للفنون التشكيلية» لمدينة الحمامات التونسية، معرض التشكيلي التونسي **محمد فنينة**، والذي تحضر فيه مجموعة من اللوحات التي يطغى عليها الأزرق. يُشير العنوان الى عودة فنينة الى بلده بعد خمس سنوات قضاها في عُمان.

يُنظّم «مركز خليل السكاكيني الثقافي» في رام الله، عند الثامنة والنصف من مساء الاربعاء المقبل، امسيةً موسيقية بعنوان **ابتهالات صوفية**، تتضمّن ابتهالات وأدعية وتجالات دينية واغاني صوفية، يقدّمها كلٌّ من كل من **عبادة درويش** غناءً، و**عزّ الدين سعيد** على القانون، و**حسين الريماوي** في الإيقاع.